

التفسير المحرر 1.0-10120-20

فَلَمْ يَكُنْ لِقَوْمٍ لُوطٍ جَوَابٌ وَلَا حُجَّةٌ حِينَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ فَعَلَ
الْفَاحِشَةَ إِلَّا أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَخْرَجُوا لُوطًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْتَزِعُونَ عَمَّا نَفَعُهُ مِنْ إِيَّانِ الرِّجَالِ فِي
أَدْبَارِهِمْ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُقِيمُوا فِي بِلَادِكُمْ.

فَأَنْجَيْنَا لُوطًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِمْ بِأَدَى، أَوْ يَلْحَقَهُمْ
شَيْءٌ مِنْ عَذَابِنَا، إِلَّا أَمْرَئَهُ الْكَافِرَةَ، قَضَيْنَا أَنَّهَا مِنَ الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ؛ لَنَهْلِكَ مَعَ قَوْمِهَا.

وَأَمْطَرْنَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ مَطَرًا مِنْ حِجَارَةٍ، فَبَيَسَ الْمَطَرُ هَذَا
الَّذِي أَمْطَرْنَاهُ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ عَذَابَ اللَّهِ،
فَعَصَوْهُ وَكَذَّبُوهُ!

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ-: جَمِيعُ الْمَحَامِدِ يَسْتَحِقُّهَا اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ؛
لِكَمَالِ أَعْمَالِهِ وَصِفَاتِهِ، وَعَظِيمِ نِعَمِهِ.

وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ وَنَجَّاهُمْ مِنَ
الْعَذَابِ، وَسَلَّمَهُمْ مِنَ الْغُيُوبِ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ. قُلْ -يَا
مُحَمَّدُ: هَلِ اللَّهُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ خَيْرٌ،
أَمْ تِلْكَ الْأَصْنَامُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ،
وَمَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ؟!

أَمْنَ تَفَرَّدَ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لِأَجْلِكُمْ مِنَ
السَّحَابِ مَطَرًا فَأَنْبَتَ بِسَبَبِهِ بَسَاتِينَ ذَاتَ مَنْظَرٍ حَسَنِ يُسَرُّ بِهَا
مَنْ يَرَاهَا، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْكُمْ غَايَةُ الْإِمْتِنَاعِ إِنْبَاتُ شَجَرِ تِلْكَ
الْحَدَائِقِ؟ أَمَعَ اللَّهُ مَعْبُودٌ آخَرُ فَعَلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ فَاسْتَحَقَّ أَنْ يُعْبَدَ؟
وَالْجَوَابُ لَا؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، بَلِ الْمُشْرِكُونَ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ
عَنِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ، فَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ
عِدْلًا وَنَظِيرًا مَعَ عِلْمِهِمْ بِالْفَرْقِ.

أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ مُسْتَقَرَّةً سَاكِنةً لَا تَضْطَرِبُ، وَأَجْرَى فِي خِلَالِ الْأَرْضِ أَنْهَارًا جَارِيَةً بِالْمَاءِ، وَجَعَلَ لِلْأَرْضِ جِبَالًا تُتَبَّهًا، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبِحَارِ الْمِلْحَةِ وَالْأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ مَانِعًا بِقُدْرَتِهِ؛ لئَلَّا يَخْتَلِطَ الْمَاءُ الْعَذْبُ بِالْمَاءِ الْمِلْحِ، فَيُفْسِدَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، فَتَقُوتَ الْمَنْفَعَةُ الْمَقْصُودَةُ مِنْهُمَا، أَمَعَ اللَّهُ مَعْبُودٌ آخَرُ فَعَلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ، فَاسْتَحَقَّ أَنْ يُعْبَدَ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ، وَلَا يَعْلَمُونَ ضَرَرَ الْإِشْرَاكِ بِهِ، وَلَا نَفْعَ تَوْحِيدِهِ.

أَمِنْ يُعْطِي الْمَحْتَاجَ مَا يَسْأَلُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْعَسِيرَةِ الْحُصُولِ، وَيُزِيلُ الضَّرَّ وَالْكَرْبَ إِنْ شَاءَ، وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ؟ أَمَعَ اللَّهُ مَعْبُودٌ آخَرُ فَعَلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ، فَاسْتَحَقَّ أَنْ يُعْبَدَ؟ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ عَظْمَةَ اللَّهِ وَنِعَمَهُ وَحُجَجَهُ؛ لِإِعْرَاضِكُمْ وَغَفْلَتِكُمْ؛ فَلِذَا أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ!

أَمِنْ يُرْسِدُكُمْ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ فِي أَسْفَارِكُمْ -بِتَيْسِيرِهِ وَبِمَا خَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْعَلَامَاتِ- وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَةً بِالْمَطَرِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ؟ أَمَعَ اللَّهُ مَعْبُودٌ آخَرُ فَعَلَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ؛ فَاسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ مَعَ اللَّهِ، أَمْ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَبْدْتُمْ غَيْرَهُ؟! تَعَاظَمَ اللَّهُ وَتَنَزَّهَ عَنِ الشِّرْكِ، وَعَنْ مُسَاوَاتِهِ بِالْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ الْعَاجِزَةِ النَّاقِصَةِ.

أَمِنْ ابْتَدَأَ كُلَّ مَخْلُوقٍ فَأَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ بَعْدَ فَنَائِهِ يُعِيدُهُ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْنِيَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، وَمَنْ يُعْطِيكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرَ، وَمِنْ الْأَرْضِ النَّبَاتِ؟ أَمَعَ اللَّهُ مَعْبُودٌ آخَرُ يَقْدِرُ عَلَى فَعْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ؛ فَاسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ مَعَ اللَّهِ؟! قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: هَاتُوا دَلِيلَكُمْ وَحُجَّتَكُمْ عَلَى صِحَّةِ عِبَادَتِكُمْ

غَيْرَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ يَسْتَحِقُّ
الْعِبَادَةَ!

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ الْغَيْبِ
الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَبْعَثُ
اللَّهُ الْخَلْقَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

بَلْ تَكَامَلَ عِلْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّ كُلَّ مَا وُعدُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا
حَقٌّ وَاقِعٌ، بَلِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا فِي شَكٍّ مِنْ وُجُودِ الْآخِرَةِ
وَوُقُوعِ الْقِيَامَةِ، فَهُمْ لَا يُوقِنُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، بَلِ هُمْ فِي
الدُّنْيَا جَاهِلُونَ جَهْلًا تَامًا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَوُقُوعِهَا، وَمَا يَكُونُ فِيهَا
مِنْ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

وَقَالَ الْكُفَّارُ: أَإِذَا صِرْنَا وَآبَاؤُنَا تَرَابًا فِي الْقُبُورِ أَئِنَّا
لَمُخْرَجُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِنَا؟! هَذَا شَيْءٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا.
قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَقَدْ جَاءَنَا مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ مَنْ وَعَدَنَا وَأَسْلَفَنَا
بِالْبَعْثِ كَمَا وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ، وَلَمْ نَرَ لَذَلِكَ حَقِيقَةً! مَا هَذَا الْوَعْدُ
بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا أَحَادِيثُ بَاطِلَةٌ، وَحِكَايَاتُ مُخْتَلَقَةٌ سَطَّرَهَا
الْأَقْدَمُونَ فِي كُتُبِهِمْ، وَتَلَقَّفَهَا مَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَا صَحَّةَ لَذَلِكَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: سَافِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا آثَارَ
الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَ اللَّهِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ؛
لِتَعْتَبِرُوا وَتَحْذَرُوا أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ.

وَلَا تَحْزَنْ -يَا مُحَمَّدٌ- عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِعْرَاضِهِمْ
عَنْكَ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا يَضِيقُ صَدْرُكَ -يَا
مُحَمَّدٌ- بِسَبَبِ مَكْرِ الْكَافِرِينَ بِكَ؛ فَإِنَّ مَكْرَهُمْ يَعُودُ وَبَالًا عَلَيْهِمْ،
وَاللَّهُ حَافِظُكَ، وَنَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ، وَمُظْهِرُ دِينِكَ.

ويقولُ المُشركون: متى سيأتينا عَذَابُ اللَّهِ -يا مُحَمَّدُ- إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيما تَعِدُونَنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ؟!

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لهؤلاءِ المُشركينَ: قد دنا لكم بعضُ العذابِ الَّذي تَسْتَعْجِلُونَ وَقْوَعَهُ.

وَإِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لَذُو فَضْلٍ كَبِيرٍ عَلَى النَّاسِ، بِإِمهالِهِم والإِحسانِ إليهم مع ظُلْمِهِم أَنْفُسَهُم، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ، وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَيَسْتَعْجِلُونَ عَذَابَهُ.

وَإِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لَيَعْلَمُ ما يُخَفَوْنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وما يُظْهِرُونَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

وما مِنْ شَيْءٍ مَخْفِيٍّ عَنِ الْعِبَادِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَهُوَ مُنْتَبِتٌ فِي كِتَابٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يُبَيِّنُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْحَقَّ فِي أَكْثَرِ ما يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَلَوْ اتَّبَعُوهُ لَاهْتَدَوْا.

وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَهْدَى مِنْ كُلِّ ضَلَالَةٍ، وَمُوصِلٌ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ بِهِ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ.

إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدُ- سَيَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ عِبَادِهِ الْمُخْتَلِفِينَ بِحُكْمِهِ الْعَادِلِ، وَيُجَازِيهِمْ بِما يَسْتَحِقُّونَ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ فِي انْتِقَامِهِ، الْغَالِبُ الْقَاهِرُ لِعِبَادِهِ، الْمُمْتَنِعُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَنِيَّاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيُجَازِيهِمْ بِما يَسْتَحِقُّونَ.

فَاعْتَمِدْ -يا مُحَمَّدُ- عَلَى اللَّهِ وَخَذْهُ، وَثِقْ بِهِ، وَفَوْضْ جَمِيعَ أُمُورِكَ إِلَيْهِ، إِنَّكَ -يا مُحَمَّدُ- عَلَى الْحَقِّ الظَّاهِرِ الْوَاضِحِ غَايَةً الْوُضُوحِ، فَلَا خَفَاءَ فِيهِ وَلَا اسْتِثْنَاءَ، وَإِنْ خَالَفَكَ مَنْ خَالَفَكَ.

إِنَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لا تَهْدِي الْكُفَّارَ الَّذِينَ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ أَنْ حَتَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِسْمَاعِهِمْ سَمَاعَ هُدًى وَنَفْعٍ وَقَبُولٍ يَسْتَجِيبُونَ مَعَهُ لِلْحَقِّ وَيَنْقَادُونَ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هِدَايَتَهُمْ، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تُسْمِعَ الْحَقَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَصَمَّ اللَّهُ أَذَانَهُمْ، إِذَا أَعْرَضُوا عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَتَدَبَّرَهُ.

وما أنتِ -يا مُحَمَّدُ- بهادي الْكُفَّارَ الَّذِينَ عَمُوا عَنْ الْحَقِّ، فَخَرَجَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، لَا تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُفْهَمَ الْحَقَّ أَحَدًا إِلَّا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَيَسْمَعُونَهَا وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَيَنْقَادُونَ لِلْعَمَلِ بِهَا بِإِخْلَاصٍ وَخُضُوعٍ.

وَإِذَا حُلِّ الوَعْدُ بِالْعَذَابِ وَالسَّخَطِ عَلَى الْكَافِرِينَ، أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ، تَخَاطَبُ الْكَافِرِينَ بِأَنَّ النَّاسَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِمَانًا تَامًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَةً.

وَإِذْكَرُ يَوْمَ نَجْمَعُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِ الْفُرَّانِ وَحُجَّجْنَا الدَّالَّةَ عَلَى الْحَقِّ، فَيُحْبَسُ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ، فَيَجْتَمِعُونَ جَمِيعًا.

فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ لِيَتَبَكَّيْتَهُمْ، قَالَ لَهُمْ مُوَبِّخًا: أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِ كِتَابِي وَحُجَّجِي، وَالْحَالُ أَنْكُمْ جَاهِلُونَ بِهَا لَمْ تَعْرِفُوا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا؟! أَمْ مَا الَّذِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ؟!

وَوَجَبَ عَذَابُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أُولَئِكَ الْمَكْذِبِينَ؛ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِتَكْذِيبِهِمْ آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أُولَئِكَ الْمَكْذِبُونَ أَنْ يَنْطِقُوا بِحُجَّةٍ أَوْ عُذْرٍ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ مُظْلِمًا لِنَسْكُنَ فِيهِ أَعْدَانَهُمْ عَنِ الْحَرَكَةِ، وَيَسْتَرِيحُوا فِيهِ مِنَ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ؛ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ ضِيَاءً

لِيَنْتَشِرُوا فِيهِ؛ طَلَبًا لِمَعَايِشِهِمْ وَغَيْرِهَا، فَجَعَلْنَاهُمَا مُخْتَلِفَيْنِ
وَمُتَعَاقِبَيْنِ لِمَصَالِحِهِمْ؟! إِنَّ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاخْتِلَافِهِمَا
عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ لَدَّلَالَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الدَّلَالَةُ
عَلَى تَوْحِيدِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

وَإِذْكَرُ يَوْمَ يَنْفُخُ الْمَلَكُ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْبُوقِ فَيَفْزَعُ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا يَفْرَعُ. وَكُلُّ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَاءُوا إِلَى اللَّهِ بِذُلٍّ وَخُضُوعٍ.

وَتَرَى الْجِبَالَ تَنْطَنُّ ثَابِتَةً سَاكِئَةً، وَلَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ تَتَحَرَّكُ
كَالسَّحَابِ، ذَلِكَ مِنْ فِعْلٍ وَخَلَقَ اللَّهُ الَّذِي أَجَادَ وَأَوْثَقَ وَأَحْكَمَ كُلَّ
شَيْءٍ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَى
جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ؛ فَلْتَحَذَرُوا مُخَالَفَةَ أَمْرِهِ.

مَنْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُمْ
آمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْقَرْعِ الْحَاصِلِ لِلْخَلْقِ.

وَمَنْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالسَّيِّئَةِ فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ؛
يُقَالُ لَهُمْ: لَا تُجَازُونَ إِلَّا بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهَا فِي
الدُّنْيَا.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِقَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ: إِنَّمَا أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ
هَذِهِ الْبَلَدَةِ -مَكَّةَ- الَّذِي جَعَلَهَا حَرَمًا أَمْنًا؛ حَرَّمَ فِيهَا عَلَى خَلْقِهِ أَنْ
يَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ يَظْلِمُوا أَحَدًا، أَوْ يَصِيدُوا فِيهَا، أَوْ يَقْطَعُوا
شَجَرَهَا، وَاللَّهُ -رَبِّ مَكَّةَ- الْأَشْيَاءُ كُلَّهَا خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَصَرُّفًا،
وَأَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ، الْمُنْقَادِينَ لَهُ
بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

وَأَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَأَتَّبِعَ مَا فِيهِ، فَمَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ
وَعَمِلَ بِهِ وَاتَّبَعَ الْحَقَّ الَّذِي فِيهِ، فَإِنَّمَا ثَوَابُ ذَلِكَ وَنَفْعُهُ يَعُودُ إِلَيْهِ،

وَمَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّمَا أَنَا مِنَ الرُّسُلِ الْمَخُوفِينَ عَذَابَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ وَعَوَاقِبَ ضَلَالِكُمْ؛ فَلَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

وَقُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: الْمُنْصِفُ بِالْكَمَالِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا، وَبَيَّنَ آيَاتِهِ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ، سَيُرِيكُمْ فِي الدُّنْيَا آيَاتِ عَذَابِهِ وَدَلَائِلَ وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَيَتَبَيَّنُ لَكُمْ صِدْقُ مَا أَخْبَرَكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَصِدْقُ مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَتَوَعَّدْتُكُمْ بِهِ، وَمَا رَبُّكُمْ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَهُ، بَلْ هُوَ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

تُبَيَّنُ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمَقْطَعَةُ، إِعْجَازُ الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تَظْهَرُ عَجَزُ الْخَلْقِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا! تِلْكَ الْآيَاتُ الْعَظِيمَةُ الْعَالِيَةُ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْوَاضِحِ، الْكَاشِفِ عَنْ حَقَائِقِ الْأُمُورِ.

نَقْرَأُ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ خَبَرِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالصِّدْقِ، لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَيَعْتَبِرُونَ. إِنَّ فِرْعَوْنَ طَغَى وَتَجَبَّرَ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ أَقْسَامًا مَتَفَرِّقَةً، يَسْتَعِيدُّ مِنْهُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُذِلُّهُمْ، يَأْمُرُ بِذَبْحِ أَبْنَائِهِمُ الذُّكُورَ، وَيَتْرُكُ إِنَاثَهُمْ أَحْيَاءَ، إِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ.

وَنُرِيدُ أَنْ نُنْعِمَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتُهْلِكَ أَعْدَاءُهُمْ، وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً، يُقْتَدَى بِهِمْ، وَوَارِثِينَ لِمَلِكِ فِرْعَوْنَ وَأَرْضِهِ.

وَنُوطِيَّ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ، وَنُرِيدُ أَنْ نُرِيَ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مَا كَانُوا يَخَافُونَهُ مِنْ زَوَالٍ مُلْكِهِمْ عَلَى أَيْدِي
بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ مَا دُمْتَ آمِنَةً عَلَيْهِ،
فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ، فَاطْرَحِيهِ فِي نَهْرِ النَّيْلِ بَعْدَ
وَضْعِهِ فِي التَّابُوتِ، وَلَا تَخَافِي عَلَيْهِ الْهَلَكَ، وَلَا تَحْزَنِي عَلَى
فِرَاقِهِ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ، وَجَاعِلُوهُ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

فَأَخَذَ آلُ فِرْعَوْنَ مُوسَى؛ لِيَكُونَ عَدُوًّا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، يَحْزَنُهُمْ
بِزَوَالِ مُلْكِهِمْ، وَوَقُوعِ هَلَاقِهِمْ، إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
كَانُوا عُصَاةً أَثِمِينَ.

وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ: هَذَا الطِّفْلُ سُرُورٌ لِي وَلَكَ يَا فِرْعَوْنَ،
لَا تَقْتُلُوهُ؛ لَعَلَّهُ يَنْفَعُنَا، أَوْ نَجْعَلُهُ وَلَدًا نَنْتَبِأَهُ، وَفِرْعَوْنُ وَآلُهُ لَا
يَعْلَمُونَ أَنَّ هَلَاقَهُمْ عَلَى يَدَيْ هَذَا الطِّفْلِ.

وَأَصْبَحَ قَلْبُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مُوسَى،
وَأَوْشَكْتَ أَنْ تُظْهَرَ أَنَّهُ ابْنُهَا، لَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّا قَلْبَهَا؛ لَتَكُونُ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ.

وَقَالَتْ أُمُّ مُوسَى لِأَخْتِهِ: اذْهَبِي فَتَتَّبِعِي أَثَرَهُ؛ لِتَعْلَمِي خَبَرَهُ،
فَذَهَبَتْ، فَرَأَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَقَوْمُ فِرْعَوْنَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا أَخْتُهُ،
وَأَنَّهَا تُرَاقِبُهُ.

وَمَنْعْنَا مُوسَى مِنْ قَبْلِ مَنْعَا قَدَرِيًّا أَنْ يَقْبَلَ الرَّضَاعَ مِنْ أَيِّ
مُرْضِعٍ غَيْرِ أُمِّهِ، فَقَالَتْ أَخْتُهُ لِآلِ فِرْعَوْنَ: هَلْ أَذْلكُمْ عَلَى أَهْلِ
بَيْتٍ يَضْمَنُونَ الْقِيَامَ بِحَضَانَتِهِ وَإِرْضَاعِهِ، وَهُمْ مُخْلِصُونَ فِي
ذَلِكَ؟

فَرَدَدْنَا مُوسَى إِلَى أُمِّهِ؛ لَكِي تَسَرَّ بِهِ وَتَفَرَّحَ، وَلَا تَحْزَنَ عَلَى فِرَاقِهِ، وَلِتَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّ مَا وَعَدَهَا اللَّهُ مِنْ رَدِّ مُوسَى إِلَيْهَا، وَجَعَلَهُ رَسُولًا: صِدْقٌ لَا بَدَّ مِنْ وُقُوعِهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلَا يَعْلَمُونَ حِكْمَةَ الْعَظِيمَةِ.

وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْتَهَى شِدَّتِهِ وَقَوَّتِهِ؛ اتَّبَاهُ حِكْمَةً وَعِلْمًا قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَكَمَا جَازَيْنَاهُ بِذَلِكَ لِإِحْسَانِهِ، نُثِيبُ أَيْضًا كُلَّ مَنْ أَحْسَنَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، أَوِّ لِلْخَلْقِ.

وَدَخَلَ مُوسَى مَدِينَةً فِي مِصْرَ فِي وَقْتٍ لَا يَشْعُرُ فِيهِ أَهْلُهَا بِدُخُولِهِ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ؛ أَحَدُهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْآخَرُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، فَطَلَبَ الْإِسْرَائِيلِيُّ مِنْ مُوسَى أَنْ يَنْصُرَهُ، فَضَرَبَ الْقِبطِيَّ بِقَبْضَةٍ يَدِهِ، فَقَتَلَهُ، وَقَالَ: هَذَا الْقَتْلُ وَقَعَ مِنْ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ لِي، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ عَنِ الْحَقِّ، ظَاهِرُ الْعِدَاوَةِ.

قَالَ مُوسَى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِهَذَا الْقَتْلِ، فَاعْفُ لِي ذَلِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ غَفُورٌ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.
قَالَ مُوسَى: رَبِّ أَعَاهِذُكَ أَلَّا أَكُونَ مُعِينًا لِلْمُجْرِمِينَ بِسَبَبِ إِنْْعَامِكَ عَلَيَّ.

فَأَصْبَحَ مُوسَى فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْقِبطِيُّ خَائِفًا، يُرَاقِبُ، وَيَنْتَظِرُ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ فِي شَأْنِهِ، فَتَفَاجَأَ بِالْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي طَلَبَ النُّصْرَةَ بِالْأَمْسِ يَصِيحُ بِهِ الْيَوْمَ، طَالِبًا أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى فِرْعَوْنِي آخَرَ، فَقَالَ مُوسَى لَهُ: إِنَّكَ ظَاهِرُ الْغَوَايَةِ، كَثِيرُ الْمُنَازَعَةِ.

فَلَمَّا أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَأْخُذَ الْقِبطِيَّ الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُ وَلِلْإِسْرَائِيلِيِّ بَعْغًا، وَيَضْرِبَهُ، قَالَ: يَا مُوسَى، أَتُرِيدُ أَنْ تُقَتِّلَنِي

اليومَ كما قَتَلْتَ الْقِبْطِيَّ بِالْأَمْسِ؟ مَا تُرِيدُ بِقَتْلِكَ النَّاسَ ظُلْمًا إِلَّا أَنْ تَكُونَ قَاهِرًا غَالِبًا، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ مَا فِيهِ صَلاَحٌ لِلنَّاسِ. وجاء رجلٌ من آخر المدينة وأبعدها يمشي مُسرِعًا إلى موسى، فقال له: إِنَّ الْأَشْرَافَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ يَتَشَاوَرُونَ فِي قَتْلِكَ، وَيَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَاخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، إِنِّي مِنَ النَّاصِحِينَ لَكَ فِي ذَلِكَ.

فخرج موسى وهو خائفٌ، يَتَلَفَّتُ وَيَنْظُرُ: هَلْ يَلْحَقُونَ بِهِ، وقال: رَبِّ خَلِّصْنِي مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ، وَإِرَادَةَ قَتْلِي عَلَى مَا وَقَعَ مِنِّي مِنْ قَتْلِ بِالْخَطَأِ. ولَمَّا خَرَجَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ، وَقَصَدَ بِلْدَةَ مَدْيَنَ، وَخَشِيَ أَنْ يَضِلَّ الطَّرِيقَ؛ قال: عسى أَنْ يُبَيِّنَ لِي رَبِّي الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ بِسُهُولَةٍ إِلَى مَدْيَنَ.

ولَمَّا بَلَغَ مُوسَى مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً يَسْقُونَ مَوَاشِيَهُمْ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَحْبِسَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ النَّاسِ، فقال لهما: مَا شَأْنُكُمَا تَكْفَانِ غَنَمَكُمَا، وَلَا تَسْقِيَانِ؟ قَالَتَا: عَادَتُنَا أَنْنَا لَا نَسْقِي أَغْنَامَنَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَصْرِفَ الرُّعَاةَ مَوَاشِيَهُمْ، وَأَبُونَا كَبِيرٌ فِي السِّنِّ، يَضْعُفُ عَنْ سَقْيِ الْغَنَمِ بِنَفْسِهِ.

فَسَقَى مُوسَى لِلْمَرَأَتَيْنِ غَنَمَهُمَا بِلَا أُجْرَةٍ؛ رَحْمَةً بِهِمَا، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى ظِلِّ هُنَاكَ، فقال: رَبِّ، إِنِّي مُحْتَاجٌ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْزَلْتَهُ إِلَيَّ مِنْ أَيِّ خَيْرٍ كَانَ.

فجاءت إحدى المرأتين إلى موسى، وهي تَمْشِي مُسْتَحِيَّةٌ مُسْتَتِرَةٌ فقالت: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيُكَافِّئَكَ عَلَى سَقْيِ أَغْنَامِنَا، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى أَبِيهَا وَحَدَّثَهُ بِأَخْبَارِهِ مَعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ قال الأبُّ: لَا تَخَفْ؛ فَقَدْ نَجَوْتَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ إِذْ لَا سُلْطَانَ لَهُمْ بِأَرْضِنَا.

قالت إحدى الفتاتين: يا أبتِ استأجرْ هذا الرَّجُلَ؛ لِرَعي غَنَمِنَا
وسُقْيَها، إِنَّ خَيْرَ مَنْ تَسْتَأْجِرُهُ الْقَوِيُّ عَلَى عَمَلِهِ، الْأَمِينُ الَّذِي لَا
يَخُونُ.

قال الأبُّ لموسى: إِنِّي أريدُ تزويجَكَ بإحدى ابنتَيَّ على أن
ترعى لي الغَنَمَ ثمانِي سِنِينَ، فَإِنْ أَتَمَمْتَ رَعِيَّها في عَشْرِ سِنِينَ،
فهذا تَفَضُّلٌ مِنْكَ، وما أريدُ تَكْلِيفَكَ بما يَشْتَقُّ عَلَيْكَ، سَتَجِدُنِي إِنْ
شاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ في حُسْنِ المَعامِلَةِ والصُّحْبَةِ، بالوفاءِ
وغيره.

قال موسى للأب: قد رَضِيتُ بما قُلْتَهُ، وتَمَّ فيما بَيْنِي وبَيْنَكَ،
وعلى كُلِّ واحدٍ مِنَّا الوفاءُ، وأَيُّ أَجَلٍ قَضِيتُ -سواءَ العَشْرِ، أو
الْثَماني- فليس لك مطالبتِي بأكثرَ مِنْهُ، واللهُ على ما تَعاقَدُنا عليه
حَفِيزٌ وشاهِدٌ.

فَلَمَّا أَهْمَى موسى سَنَوَاتِ رَعِيهِ لِلْغَنَمِ، وسافرَ بأهلِهِ؛ أَبْصَرَ
مِنْ جِهَةِ الْجَبَلِ نارًا، فقال لأهلِهِ: أَقِيمُوا مَكَانَكُمْ؛ فَإِنِّي أَبْصَرْتُ
نارًا، سَأَذْهَبُ إِلَيْها راجِعًا أنْ أَرْجِعَ مِنْ عِنْدِ أَهلِها بِخَبَرٍ عن
الطَّرِيقِ، أو أَتِيَكُم مِنْها بِقِطْعَةٍ حَطَبٍ مُشْتَعِلَةٍ، رجاءُ أنْ تَسْتَدْفِنُوا
بها.

فَلَمَّا أَتَى موسى إِلَى النَّارِ، ناداهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ جَانِبِ الوادي
الواقِعِ على يَمِينِ موسى في الأَرْضِ الَّتِي أَحَلَّ اللهُ فِيها الْبَرَكةَ
مِنْ نَاحِيَةِ الشَّجَرَةِ، فقال له: يا موسى، إِنَّ الَّذِي يُكَلِّمُكَ هوَ أنا اللهُ
رَبُّ جَمِيعِ الخالِيقِ.

واطْرَحْ عَصاكَ، فطَرَحَها، فَلَمَّا رَأَها تَتَحَرَّكُ كَأَنَّها حَيَّةٌ في
سُرْعَتِها، وَشِدَّةِ اهْتِزَازِها؛ هَرَبَ مُسْرِعًا وَلَمْ يَرْجِعْ أو يَلْتَفِتْ،

فقال الله: يا موسى، عُدْ إلى مكانِكَ ولا تَخَفْ؛ إِنَّكَ في أَمْنٍ مِنْ أَنْ يَنَالَكَ مَكْرُوهٌ.

أَدْخَلَ يَدَكَ فِي فَتْحَةِ قَمِيصِكَ -وهي الفَتْحَةُ العُلُويَّةُ موضعَ دُخُولِ الرِّأْسِ- فَإِذَا أَخْرَجْتَهَا تَكُونُ بَيَضاءَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ، وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى صَدْرِكَ؛ فَيَذْهَبَ مَا أَصَابَكَ مِنَ الْخَوْفِ، فَهَاتَانِ آيَتَانِ مِنْ رَبِّكَ -العَصَا واليَد-، أَرْسَلُكَ بِهِمَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُمْ مَطْبُوعُونَ عَلَى الْكُفْرِ، مُتَّصِفُونَ بِالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

قال موسى: رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ نَفْسًا، فَأَخَافُ أَنْ رَأُونِي وَحِيدًا بَلَا مُعِينٍ يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا أُرِيدُ قَوْلَهُ- أَنْ يَقْتُلُونِي قَبْلَ أَنْ أَتِمَّكَ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ.

وأخي هَارُونُ هُوَ أَحْسَنُ مِنِّي بَيَانًا؛ فَاجْعَلْهُ رَسُولًا مَعِي، وَوزيرًا يُعِينُنِي لِي عَلَى دَعْوَتِهِمْ، يُبَيِّنُ مَا أَقُولُ لَهُمْ؛ لِأَنِّي أَخَافُ أَلَّا يُصَدِّقَنِي فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ.

قال الله: سَنُقَوِّيكَ بِإِرسالِ أَخِيكَ مَعَكَ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا حُجَّةً عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَمَهَابَةً مِنْكُمْ، فَتَغْلِبَانَهُمْ، وَتَمْتَنِعَانِ مِنْهُمْ؛ بِسَبَبِ آيَاتِنَا، فَلَا يُؤْذَوْنُكُمَا، أَنْتُمَا وَأَتْبَاعُكُمَا الْمَنْصُورُونَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ، الْقَاهِرُونَ لَهُمْ.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ مُوسَى بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ عَلَى الْحَقِّ، قَالَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ: الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى سِحْرٌ افْتَرَاهُ؛ فَهُوَ تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَيْسَ مُعْجَزَةً إلهِيَّةً كَمَا يَزْعُمُ، وَمَا سَمِعْنَا مَنْ يَدْعُو أَبَاءَنَا إِلَى مِثْلِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ.

وقال موسى مُجِيبًا لَهُمْ: رَبِّي أَعْلَمُ بِالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ: نَحْنُ أَوْ أَنْتُمْ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ

في الدنيا والآخرة: نحنُ أو أنتم، إنَّ الظَّالِمِينَ لا يَفُوزُونَ بالعاقبةِ
الحَميدةِ والبقاءِ في النَّعيمِ.

وقال فرعونُ: يا أيُّها الأشرافُ، لا أعلمُ أنَّ لكم معبودًا
غيري كما يزعمُ موسى، فأوقِدِ النَّارَ يا هامانُ على الطِّينِ؛
لِتَجْفِيفِهِ، فيكونَ أَجْرًا تبني لي به بناءً مُرتفعًا، لعلِّي أنظرُ إلى
معبودِ موسى الَّذي يَدْعُونَا إلى عبادتِهِ، وإني لأظُنُّ موسى كاذبًا
في زعمِهِ.

واستعظمَ فرعونُ وجُنودُهُ وتعالوا في الأرضِ عن اتِّباعِ
الهُدى؛ ظُلُمًا مِن غيرِ بُرْهانٍ، وظنُّوا أَنَّهُم لا يَبْعَثُونَ لِلْحِسَابِ
والجَزاءِ.

فأخذنا فرعونَ وجُنودَهُ أَخَذَ نَقْمَةً، فأغرَقناهم أَجمَعِينَ،
فانظرُ كيف كان أَخرُ أمرِ أولئك الظَّالِمِينَ.

وجعلنا فرعونَ وقومَهُ في الدُّنيا رُعماءَ مَتبوعِينَ على
الكُفْرِ، يَدْعُونَ النَّاسَ إلى أعمالِ أَهلِ النَّارِ، ويومُ القيامةِ لا
يَنصُرُهُم أَحَدٌ، ولا يَدْفَعُ عنهم عذابَ اللَّهِ تعالى.

وجعلنا اللَّعْنَةَ مِنَ اللَّهِ وعبادِهِ تَتَّبِعُهُم بَعْدَ هَلَاكِهِم، ويومُ
القيامةِ هم مِنَ الْمُهْلَكِينَ المَمْقُوتِينَ، الشَّنِيعَةِ أَفعالُهُم وأقوالُهُم،
الْقبيحَةِ أَشكالُهُم.

ولقد آتينا موسى الثَّورَةَ مِن بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الأُمَمَ المَاضِيَةَ،
ضِياءً لبني إِسرائيلَ يُبْصِرُونَ بِهِ ما يَنْفَعُهُم، وَهُدًى إلى الْحَقِّ،
وَرَحمةً لَهُم؛ لِيَتَذَكَّرُوا فَيَتَّقُوا.

وما كنتُ -يا مُحَمَّدُ- في جِهةِ الطُّورِ الغَربيَّةِ بالنسبةِ لموسى
إِذْ كَلَّمْنَاهُ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ، وما كُنْتَ مُشَاهِدًا بَعينيكِ تفاصيلَ ما
جَرى هُنَاكَ.

ولكنَّا خَلَقْنَا أُمَمًا بَعْدَ مُوسَى، وَطَالَتْ مَدَّةُ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ،
فَنُفِسِي عَهْدُ اللَّهِ؛ فَأَرْسَلْنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا كُنْتُ
-يَا مُحَمَّدُ- مُقِيمًا زَمَنًا طَوِيلًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ؛ فَتَقَرَّأَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ
مَا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ مُوسَى فِي مَدْيَنَ، وَلَكِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ
بِتِلْكَ الْأَخْبَارِ الْمَاضِيَةِ.

وَمَا كُنْتُ -يَا مُحَمَّدُ- حَاضِرًا بِجَانِبِ الْجَبَلِ حِينَ كَلَّمْنَا
مُوسَى، وَلَكِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا جَرَى؛ رَحْمَةً مِنَّا بِكَ وَبِالْعِبَادِ،
لِتُحَذِّرَ الْعَرَبَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ، وَلِيَتَذَكَّرُوا خَطَأَ
مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالٍ، فَيَتَّعِظُوا.

وَلَوْلَا أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ
قَبْلَ إِرْسَالِكَ -يَا مُحَمَّدُ-، فَيَقُولُوا مُحْتَجِّينَ: يَا رَبَّنَا، هَلَّا أُرْسَلَتْ
إِلَيْنَا رَسُولًا قَبْلَ أَنْ تَعَذِّبَنَا؛ فَتَنْبَغِ آيَاتُكَ، وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْحَقِّ؟ لَعَاجَلُنَاهُمْ بِالْعَذَابِ، وَلَكِنَّا أَقَمْنَا الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِكَ
إِلَيْهِمْ.

فَلَمَّا جَاءَ الْقُرْآنُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، قَالُوا: هَلَّا أُوتِيَهِ مُحَمَّدٌ جُمْلَةً
وَاحِدَةً، كَمَا أُوتِيَ مُوسَى التَّوْرَةُ؟ وَهَلَّا أُوتِيَ مُعْجَزَاتٍ كَالَّتِي
أُوتِيَهَا مُوسَى؟ أَوَلَمْ يَكْفُرْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِالتَّوْرَةِ وَمُعْجَزَاتِ مُوسَى
مِنْ قَبْلِ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ؟ فَكَيْفَ يَطْلُبُونَ ذَلِكَ؟ وَقَالُوا: التَّوْرَةُ وَالْقُرْآنُ
سِحْرَانِ تَعَاوَنَا عَلَى إِضْلَالِ النَّاسِ، وَصَدَّقَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ،
وَأَنَا بِهِمَا كَافِرُونَ.

قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: فَهَاتُوا إِذَنْ كِتَابًا مُنَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَكْثَرَ
هُدَايَةً لِلْحَقِّ مِنْهُمَا؛ فَأَعْمَلْ بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ
التَّوْرَةَ وَالْقُرْآنَ سِحْرَانِ، وَأَنَّ الْحَقَّ فِي غَيْرِهِمَا.

فَإِنْ لَمْ يَأْتِ الزَّاعِمُونَ أَنْ التَّوْرَةَ وَالْقُرْآنَ سِحْرَانِ بَكْتَابٍ
أَهْدَىٰ مِنْهُمَا، وَيَتَّبِعُوا الْحَقَّ؛ فَاعْلَمُوا -يَا مُحَمَّدٌ- أَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ
أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَىٰ مَا يَزْعُمُونَ، وَلَا أَحَدَ أَضَلُّ عَنِ
الْحَقِّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَىٰ نَفْسِهِ، وَتَرَكَ الْهُدَىٰ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُوفِّقُ لَاتِّبَاعِ الْحَقِّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ.
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ مُتَوَاتِلًا بَعْضُهُ إِثْرَ بَعْضٍ لِّكُفَّارِ الْعَرَبِ
وَأَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ مُتَتَابِعًا وَعَدًّا وَوَعِيدًا، وَقَصَصًا وَمَوَاعِظَ
وَنَصَائِحَ؛ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَيَنْتَفِعُونَ.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُم التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَحَرِّفُوهُمَا
يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ.

وَإِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا: آمَنَّا بِهِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ نَزَلَ
مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نُزُولِهِ مُوحِّدِينَ لِلَّهِ، مُنْقَادِينَ
لِطَاعَتِهِ، مُؤْمِنِينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ؛ فَلِهَذَا آمَنَّا بِالْقُرْآنِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِهِمْ وَبِالْقُرْآنِ، يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ ثَوَابَهُمْ
مُضَاعَفًا؛ لِصَبْرِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِمَا، وَعَلَى مَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ الْأَذَى،
وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الْأَمْوَالِ يُنْفِقُونَ فِي أَوْجُهٍ الْبِرِّ.

وَإِذَا سَمِعُوا الْكَلَامَ الْبَاطِلَ أَعْرَضُوا عَنِ الْاسْتِمَاعِ لَهُ، وَلَمْ
يَرُدُّوا عَلَى مَنْ آذَاهُمْ بِالْكَلَامِ الْقَبِيحِ، وَقَالُوا: لَنَا دِينُنَا، وَلَكُمْ
دِينُكُمْ، وَسُجُزِي اللَّهُ كُلًّا مِنَّا عَلَى عَمَلِهِ ثَوَابًا أَوْ عِقَابًا، وَأَنْتُمْ
سَالِمُونَ مِنْ أَنْ نُؤْذِيَكُمْ، وَلَا تُرِيدُ مُجَادَلَةَ السُّفَهَاءِ الْمُخَالِفِينَ
لِلْحَقِّ، الْمُعْتَدِينَ عَلَى الْخَلْقِ؛ وَلَا نَصَاحِبُهُمْ، وَلَا نُحِبُّ طَرِيقَتَهُمْ.

إِنَّكَ -يا مُحَمَّدُ- لا تُوقِفُ لَاتِّبَاعِ الْحَقِّ مَنْ أَحَبَّبَتْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ؛ فَيُوقِفُهُ لِلْحَقِّ.

وقال كُفَّارُ قُرَيْشٍ: إِنَّ نَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ -يا مُحَمَّدُ-، يَنْتَزِعُنَا مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنْ مَكَّةَ، فَيُخْرِجُونَا أَوْ يَأْسِرُونَا أَوْ يَقْتُلُونَا، أَوْ لَمْ نَجْعَلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ بَلَدًا آمِنًا، تُجْلَبُ إِلَيْهِ الثَّمَرَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ مِنْ شَتَّى الْبُلْدَانِ، عَطَاءً خَاصًّا مِنْ عِنْدِنَا؟ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ كُفَّارِ مَكَّةَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ رَزَقَهُمْ وَأَمَّنَّهُمْ فِي حَالِ كُفْرِهِمْ يَرْزُقُهُمْ لَوْ أَسْلَمُوا، وَيَمْنَعُ الْكُفَّارَ عَنْهُمْ.

وما أَكْثَرَ الْقُرَى الَّتِي طَعَى أَهْلُهَا بِالنِّعَمِ، وَأَلْهَتْهُمْ عَنْ شُكْرِ رَبِّهِمْ؛ فَكَفَرُوا بِهِ، فَأَهْلَكَهُمْ! وَتِلْكَ بُيُوتُ الْقَوْمِ لَمْ يَسْكُنْهَا أَحَدٌ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ السُّكْنَى حِينَ يَنْزِلُ بَعْضُ الْمَارَّةِ فِيمَا بَقِيَ مِنْهَا، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ لِمَسَاكِينِهِمْ، وَلَمْ يَمْلِكْهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ. ولم يَكُنْ رَبُّكَ -يا مُحَمَّدُ- لِيُهِلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أَصْلِهَا الَّذِي تَتَّبِعُهُ الْقُرَى رَسُولًا يَتْلُو عَلَى أَهْلِهَا آيَاتِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُهِلِكَ الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا مُسْتَحِقُّونَ لَذَلِكَ؛ لَا تَصَافِهِم بِالظُّلْمِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

وما أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ، فَإِنَّمَا هُوَ مَتَاعٌ تَنْتَفِعُونَ وَتَنْتَرَيُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَزُولُ سَرِيعًا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَدْوَمُ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ-، فَتَعْرِفُونَ أَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا؟

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ عَلَى طَاعَتِهِ إِنَّا نَا الْجَنَّةَ، فَاَمَنْ بَوْعَدْنَا وَأَطَاعَنَا، فَهُوَ لَاقٍ مَا وَعَدَ، كَمَنْ هُوَ مُكَذِّبٌ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، مُمْتَنِعٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ لِلْعَذَابِ.

واذْكُرْ يَوْمَ يُنَادِي اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ فيَقُولُ لَهُم: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِي فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُمْ يَنْفَعُونَكُمْ؟ قَالَ الَّذِينَ وَجِبَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالِ: رَبَّنَا، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَعَوْنَاهُمْ فَاطَاعُونَا، أَضَلَّلْنَاهُمْ مِثْلًا مَا كُنَّا ضَالِّينَ، تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مِنْهُمْ وَمِمَّا اخْتَارُوهُ مِنَ الْبَاطِلِ، فَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَنَا، إِنَّمَا كَانُوا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ.

وَقِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ: ادْعُوا الَّذِينَ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَجِيبُوهُمْ، وَلَمْ يَنْفَعُوهُمْ، وَرَأَى التَّابِعُ وَالْمَتَّبِعُ بِأَعْيُنِهِمُ الْعَذَابَ الَّذِي سَيَحُلُّ بِهِمْ، وَلَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُهْتَدِينَ لِلْحَقِّ؛ لَمَّا اتَّبَعُوا شُرَكَاءَ اللَّهِ، وَلَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ.

واذْكُرْ يَوْمَ يُنَادِي اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، فيَقُولُ لَهُم: مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُمْ إِلَيْكُمْ؟ هَلْ آمَنْتُمْ بِهِمْ وَاتَّبَعْتُمُوهُمْ، أَوْ كَفَرْتُمْ بِهِمْ وَلَمْ تُطِيعُوهُمْ؟

فَخَفِيتِ الْحُجُجَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى جَوَابٍ صَحِيحٍ، فَيَسْكُتُونَ حَيَارَى، وَلَا يَسْأَلُونَ أَحَدًا عَمَّا يُجِيبُونَ بِهِ اللَّهَ.

فَأَمَّا مَنْ تَابَ مِنَ الشِّرْكِ، وَآمَنَ بِالْحَقِّ، وَعَمِلَ صَالِحًا؛ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَفِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَالِدِينَ.

وَرُبُّكَ -يَا مُحَمَّدُ- يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ مَا يَشَاءُ، مَا كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يَخْتَارُوا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُونَ، تَنْزَرُهُ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ وَارْتَفَعَ عَنْ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ دُونَ إِلَهِيَّتِهِمْ.

وَرُبُّكَ -يَا مُحَمَّدُ- يَعْلَمُ مَا تُضْمِرُ نَفُوسُ عِبَادِهِ، وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

وهو الله المُسْتَحِقُّ للعبادة وَحْدَهُ، وهو وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ للحمدِ في الدنيا والآخرة، والله وَحْدَهُ الحُكْمُ فيهما؛ ففي الدنيا يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِشَرِّعِهِ وَقَدْرِهِ، وفي الآخرة يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِعَدْلِهِ، وإلى الله وَحْدَهُ نُرْثُونَ بعدَ مَوْتِكُمْ.

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: أَخْبِرُونِي إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ مُسْتَمِرًّا بِلَا نَهَارٍ يَأْتِي بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ مَعْبُودٌ غَيْرُ اللهِ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِنَهَارٍ تُبْصِرُونَ فِيهِ؟ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ذَلِكَ سَمَاعَ فَهْمٍ وَقَبُولٍ وَانْقِيَادٍ، وَتَتَفَكَّرُونَ فِيهِ فَتَنْتَعِظُونَ، وَتَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى الْحَقِّ؟

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: أَخْبِرُونِي إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ مُسْتَمِرًّا بِلَا لَيْلٍ يَأْتِي بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ مَعْبُودٌ غَيْرُ اللهِ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْتَقِرُّونَ فِيهِ وَتَسْتَرِيحُونَ؟ أَفَلَا تَرَوْنَ ذَلِكَ بِأَبْصَارِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ الْحَقَّ؟!

وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلِمًا؛ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَتَسْتَرِيحُوا، وَجَعَلَ النَّهَارَ مُضِيئًا؛ لِطَلَبِ الْأَرْزَاقِ، وَجَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ لِتَشْكُرُوهُ عَلَيْهِمَا.

وَادْكُرْ -يا مُحَمَّدٌ- يَوْمَ يُنَادِي اللهُ الْمُشْرِكِينَ، فيقولُ لَهُمْ: أَيْنَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَائِي فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُمْ يَنْفَعُونَكُمْ؟ وَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ قَوْمٍ نَبِيَّهْمَ؛ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمُ بِالنَّبْلِغِ وَبِمَا أَجَابَتْهُ فِي دَعْوَتِهِ، فَقُلْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ كَذَبْتَ نَبِيَّهَا: هَاتُوا حُجَّتَكُمْ عَلَى صِحَّةِ إِشْرَاكِكُمْ بِاللَّهِ، فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّ اللهَ هُوَ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ للعبادة، وَغَاب عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ، فَلَمْ يَنْفَعُوهُمْ.

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ عَشِيرَةِ مُوسَى، فَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي احْتِقَارِ قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ أُوتِيَ أَمْوَالًا يَتَّقِلُ حَمْلُ مَفَاتِيحِهَا الْجَمَاعَةَ الْأَشِدَّاءَ مِنْ

الرَّجَالِ؛ لِكَثْرَتِهَا، فَبَغَى عَلَى قَوْمِهِ لَمَّا قَالُوا لَهُ: لَا تَفْرَحْ بِمَا أُوتِيتَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ الْبَطْرِينَ بَزِينَةِ الدُّنْيَا.
وَاطْلُبْ - يَا قَارُونَ - نَعِيمَ الْآخِرَةِ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، فَاسْتَعْمِلْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا تَتْرُكْ حِظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَإِلَى خَلْقِ اللَّهِ، كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ بِالرِّزْقِ الْوَاسِعِ، وَلَا تَطْلُبِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِي وَالْبَغْيِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.

قَالَ قَارُونُ: إِنَّمَا أُوتِيتُ هَذِهِ الْكُنُوزَ؛ لِأَنِّي أَهْلُ لَهَا! أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مَنْ كَانَ أَقْوَى مِنْهُ وَأَكْثَرَ جَمْعًا لِلْأَمْوَالِ؟ فَلَا مَانِعَ إِذَنْ مِنْ إِهْلَاكِهِ، وَقَدْ فَعَلَ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ، وَلَا يُسْأَلُ الْمُجْرِمُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، بَلْ يُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.
فَخَرَجَ قَارُونُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَجَمِّلًا فِي زِينَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ ضِعَافُ الْإِيمَانِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الدُّنْيَا: يَا أَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ الَّذِي أُوتِيَهُ قَارُونُ، إِنَّهُ لَصَاحِبُ نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الدُّنْيَا!
وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْعَارِفُونَ بِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا: وَيَلَكُمْ! نَعِيمُ الْجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ بِالْحَقِّ، وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ: خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَهُ قَارُونُ، وَلَا يُوَفِّقُ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي، وَعَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ؛ كَالْفَقْرِ.

فَغَيَّبْنَا قَارُونَ وَدَارَهُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ جَمَاعَةٌ يَمْنَعُونَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ حِينَ نَزَلَ بِهِ، وَلَمْ يَنْتَصِرْ لِنَفْسِهِ فَيَمْنَعَ الْعَذَابَ بِقُوَّتِهِ.

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَا لِقَارُونَ بَعْدَمَا عَلِمُوا وَجُوبَ الرِّضَا بِمَا قُدِّرَ لِلنَّاسِ مِنَ الرِّزْقِ، يَذْكُرُونَ أَنَّ اللَّهَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِحِكْمَتِهِ، لَا لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْهُمْ بِحِكْمَتِهِ لَا لِهُوََانِهِ عِنْدَهُ، وَقَالُوا: لَوْلَا أَنْ اللَّهَ تَفَضَّلَ
عَلَيْنَا بِأَنْ صَرَفَ عَنَّا مَا تَمَنَّيْنَاهُ، لَكُنَّا قَدْ طَعَيْنَا مِثْلَهُ؛ فَخَسَفَ اللَّهُ
بِنَا، فَلَا يَنْجُ وَلَا يَفُوزُ الْكَافِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

نَجْعَلُ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ أَيَّ تَكْبُرٍ فِي الْأَرْضِ عَنْ
الْحَقِّ بَرِيَّةٍ، أَوْ عَلَى الْخَلْقِ بِظُلْمِهِمْ، وَلَا يُرِيدُونَ أَيَّ عَمَلٍ
بِمَعَاصِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ.

مَنْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَسَنَةِ، فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْهَا فَالْحَسَنَةُ
بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَقَدْ تُضَاعَفُ أضعافًا كَثِيرَةً، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
يُثَابُ أَصْحَابُهَا إِلَّا جَزَاءُ مَا عَمِلُوهُ بِلَا زِيَادَةٍ، وَلَا يُجَاوِزُونَ عَلَى
مَا لَمْ يَعْمَلُوا.

إِنَّ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ -يَا مُحَمَّدُ- وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ
تِلَاوَتَهُ وَتَبْلِيغَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ: لَرَأَيْكَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ خُرُوجِكَ
مِنْهَا، فَقُلْ لِمُشْرِكِي مَكَّةَ: رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ أَنَا
أَوْ أَنْتُمْ، وَأَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ.
وَمَا كُنْتُ -يَا مُحَمَّدُ- تَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، لَكِنَّ اللَّهَ
أَنْزَلَهُ رَحْمَةً مِنْهُ بِكَ وَبِعِبَادِهِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُعِينًا لِلْكَافِرِينَ.

وَلَا يَصْرِفَنَّكَ الْكُفَّارُ -يَا مُحَمَّدُ- بِكَذِبِهِمْ وَأَذَاهُمْ وَمَكْرِهِمْ عَنْ
آيَاتِ الْقُرْآنِ بَعْدَ إِنْزَالِهَا إِلَيْكَ، وَادْعُ النَّاسَ إِلَى رَبِّكَ، وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ.

وَلَا تَدْعُ -يَا مُحَمَّدُ- مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا غَيْرَهُ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَإِنْ إِلَّا ذَاتَ اللَّهِ

تعالى، وكلُّ عَمَلٍ باطلٌ إِلَّا ما أُرِيدَ بهِ وَجْهُهُ، واللهِ وَحْدَهُ الحُكْمُ
بَيْنَ عِبَادِهِ، وإلى اللهِ وَحْدَهُ تُرْثُونَ بعدَ مَوْتِكُمْ.

تُبَيِّنُ هذه الحروفُ المقطَّعة، إعجازَ القرآن؛ حيثُ تُظهِرُ
عَجْزَ الخَلْقِ عن مُعَارَضَتِهِ بمثله، مع أَنَّهُ مَرَكَّبٌ مِنْ هذه
الحروفِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بها!

أُظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُمْ يَسْلَمُونَ مِنَ الفِتْنَةِ إِذَا آمَنُوا فَيُتْرَكُونَ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يُمْتَحَنُوا؟!

ولقد اُمْتُحِنَ المَاضِينَ مِنْ قَبْلِ هذه الأُمَّةِ، فيعلمُ اللهُ بالامتحان
الصَّادِقِينَ في إيمانِهِمْ، ويعلمُ الكاذِبِينَ في دَعْوَى الإِيْمَانِ، عِلْمٌ
مُشَاهِدَةٌ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الجَزَاءُ.

هَلْ ظَنَّ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ السَّيِّئَاتِ أَنَّهُمْ يُفْلِتُونَ مِنَّا، فَلَ
نُعَذِّبُهُمْ؟! فما أَسْوَأُ مِنْ ظَنٍّ!

مَنْ كَانَ يَطْمَعُ في لِقَاءِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِنَّ القِيَامَةَ واقِعَةٌ
قَرِيبًا لَا مَحَالَةَ، واللهِ وَحْدَهُ هُوَ السَّمِيعُ لَجَمِيعِ الأصْوَاتِ، العَلِيمُ
بِكُلِّ الكائِنَاتِ.

وَمَنْ بَدَّلَ جُهْدَهُ على فِعْلٍ ما أَمَرَهُ اللهُ، وَتَرَكَ ما نَهَاها؛ فَإِنَّمَا
نَفَعُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ خَلْقِهِ،
فَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُهُمْ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُهُمْ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَثَبَّتُوا عَلَيْهِ عِنْدَ البَلَاءِ، وَعَمِلُوا
الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ؛ لَنُبْطِلَنَّ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا نَوَاخِذَهُمْ بها، وَلَنُنْشِئَنَّهُمْ
بأَحْسَنِ ما كانوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَأَمَرْنَا الإنسانَ أَنْ يُحْسِنَ إلى والِدَيْهِ قَوْلًا وِفْعَلًا، وَإِنْ بَدَّلَ
وَالِدَاكَ جُهدَهُما - أَيُّها المُسْلِمُ- لِنَجْعَلَ لِي شَرِيكًا لَا تَعْلَمُ حُجَّةَ

على الوهيته، فلا تُطْعهما في ذلك، إلی مَصِيرُكم يومَ القيامةِ،
فأخبرُكم بأعمالِكم؛ وأجازيكم عليها.
والَّذين آمنوا بالحقِّ، وعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ: لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي
جُمْلَةِ الصَّالِحِينَ.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ بِلِسَانِهِ: آمَنَّا بِاللَّهِ، فَإِذَا آذَاهُ النَّاسُ لِيرْجِعَ
عَنِ الْحَقِّ، جَعَلَ أَذَاهُمْ كَعَذَابِ اللَّهِ، فَيَتْرَكَ الْحَقَّ، وَلَئِن جَاء نَصْرٌ
مِّن رَّبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لِحِزْبِ اللَّهِ النَّابِتِي الْإِيمَانِ، وَقَشَّ وَمَغَانِمٌ،
لَيَقُولَنَّ لَهُمْ أُولَئِكَ الْمُرْتَدُّونَ عَنِ إِيْمَانِهِمْ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ مُؤْمِنِينَ؛
لَيَأْخُذُوا مِنَ الْغَنَائِمِ، أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا فِي قُلُوبِ
خَلْقِهِ، إِخْلَاصًا كَانَ أَوْ نِفَاقًا؟ فَكَيْفَ يُخَادِعُونَهُ؟!

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ النَّابِتِينَ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
الكَاذِبِينَ فِي دَعْوَى الْإِيمَانِ، عِلْمٌ مُّشَاهِدَةٌ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاؤُهُمْ.
وَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ لِلْمُؤْمِنِينَ: اتَّبِعُوا طَرِيقَتَنَا فِي الدِّينِ،
وَسَنَتَحَمَّلُ أَثَامَكُمْ فَيَكُونُ الْعَذَابُ عَلَيْنَا دُونَكُمْ! وَلَن يَتَحَمَّلُوا شَيْئًا
مِّن ذَلِكَ، إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي رَّعْمِهِمْ.

وَلَيَحْمِلَنَّ أُولَئِكَ الدَّاعُونَ إِلَى الضَّلَالِ ذُنُوبَ أَنْفُسِهِمْ، وَذُنُوبَ
أَتْبَاعِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ذُنُوبِ الْأَتْبَاعِ شَيْءٌ، وَلَيُسْأَلُنَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الضَّلَالِ، وَتَزِينُهُ لِلنَّاسِ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَقَامَ فِيهِمْ دَاعِيًا إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ تَسْعَمْنِي وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَأَغْرَقَهُمُ الطُّوفَانُ، وَهُمْ
ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ.

فَأَنْجَيْنَا مِنَ الْغَرَقِ نُوحًا وَمَنْ حَمَلَهُمْ فِي السَّفِينَةِ، وَجَعَلْنَا تِلْكَ
السَّفِينَةَ حُجَّةً وَعِبْرَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَامَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ،
وإنجائه للطَّاعِ، وإهلاكه للعاصي.

واذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَاتَّقُوا
سَخَطَهُ وَعَذَابَهُ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ؛ فَلَا يَعْقِلُ خَيْرِيَّةَ ذَلِكَ إِلَّا ذُو عِلْمٍ.

قال إبراهيم لقومه: إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا لَا تَسْتَحِقُّ
شَيْئًا مِنَ الْإِلَوهِيَّةِ، وَتَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ، وَتُسَمُّونَهَا آلِهَةً،
وَتَخْتَلِقُونَ الْكَذِبَ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَتِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْزُقَكُمْ
أَيَّ شَيْءٍ، فَاطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنَ اللَّهِ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى
رِزْقِهِ وَسَائِرِ نِعَمِهِ، إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُحَاسِبُكُمْ
وَيُجَازِيكُمْ.

وإِنْ تُكْذِبُوا بِالْحَقِّ فَقَدْ كَذَّبَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَمَا عَلَى الرُّسُولِ
إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَ قَوْمَهُ رِسَالَةَ اللَّهِ عَلَى نَحْوِ وَاضِحٍ مُوَضَّحٍ لِلْحَقِّ.
أَوَلَمْ يَرَ الْمُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ كَيْفَ يَبْتَدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ بَعْدَ الْعَدَمِ، ثُمَّ
يُعِيدُهُ مِنْ بَعْدِ فَنَائِهِ؟ إِنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْ - يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: سَافِرُوا فِي الْأَرْضِ؛
لِتَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُنْشِئُهُ نَشْأَةً ثَانِيَةً بَعْدَ
فَنَائِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْجِزُهُ فِعْلُ شَيْءٍ.

يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ تَعْذِيبَهُ عَلَى ذُنُوبِهِ بَعْدِلَهُ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ
رَحْمَتَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْثَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَيَبْعَثُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُفْلِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، سَوَاءٌ كُنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْ فِي
السَّمَاءِ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ، وَيَنْصُرُكُمْ، وَيُدْفَعُ
عَذَابَ اللَّهِ عَنْكُمْ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ: أُولَئِكَ
يَنْسَوْنَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَنْ يُدْخِلَهُمْ جَنَّتَهُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُؤَلَّمٌ.

فما كان جواب قوم إبراهيم حين دعاهم إلى عبادة الله وحده إلا أن قالوا: اقتلوا إبراهيم أو حرقوه بالنار، فآلقوه في النار، فسلمه الله من أذاها، إن في إنجاء إبراهيم لدلالات على قدرة الله، وغير ذلك، للمؤمنين.

وقال إبراهيم لقومه: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ أَوْثَانًا تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ اتِّبَاعًا مِنْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وَحِفَظًا عَلَى مَوَدَّتِكُمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، ثُمَّ يَتَبَرَّأُ كُلُّ مَنْكُمْ مِنَ الْآخِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَلْعَنُهُ، وَمَنْزَلُكُمْ جَمِيعًا النَّارُ، وَلَيْسَ لَكُمْ أَحَدٌ يَخْلُصُكُمْ مِنْهَا.

فأمن لوط بما جاء به إبراهيم من الحق، وقال إبراهيم: إِنِّي مُنْتَقِلٌ مِنْ أَرْضِ قَوْمِي؛ لِأَعْبُدَ اللَّهَ فِي أَرْضٍ غَيْرِهَا، إِنَّ رَبِّي هُوَ الْغَالِبُ، الَّذِي لَا يَدُلُّ مَنْ نَصَرَهُ، بَلْ يَمْنَعُهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرِّعِهِ وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ

ورزقنا إبراهيم بعد هجرته ولده إسحاق، وولد ولده يعقوب بن إسحاق، وجعلنا الأنبياء من نسل إبراهيم، وعليهم نازل الكتاب الإلهي، وآتيناه جزاء عمله في الدنيا، وإنه في الآخرة في عداد الصالحين، فله فيها ثوابه.

واذكر يا محمد - لوطاً حين قال لقومه: إِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ مَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْقُبْحِ وَالشَّنَاعَةِ، وَمَا سَبَقَكُمْ إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ.

أنتكم لتجامعون الرجال في أدبارهم، وتقطعون الطريق على المارة والمُسافرين، وتفعلون في مجالسكم ما قُبْحُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ؟ فما كان جواب قوم لوط على كلامه إلا أن قالوا: إِنَّا نَبْتَاعُ بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي زَعْمِكَ أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، وَفِيمَا نَتَوَعَّدُنَا مِنَ الْعَذَابِ.

قال لوط: رَبِّ انصُرْنِي بِإِهْلَاكِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ
أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَارَةِ
بِإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، قَالُوا لَهُ: أَرْسَلْنَا اللَّهُ؛ لِنُهْلِكَ أَهْلَ قَرْيَةِ لُوطٍ؛
لَأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي.

قال إبراهيم للملائكة: إِنَّ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ لُوطًا، وَلَيْسَ مِنَ
الظَّالِمِينَ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالظَّالِمِينَ، لَنُنَجِّيَنَّ لُوطًا وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا؛ فَهِيَ مِنَ الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ.

وَلَمَّا جَاءَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى لُوطٍ، سَاءَ ذَلِكَ، وَاعْتَمَ؛ لَخَوْفِهِ عَلَيْهِمْ
مِنْ قَوْمِهِ، وَعَجَزِهِ عَنْ حِمَايَتِهِمْ، وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ: لَا تَخَفْ وَلَا
تَحْزَنْ، إِنَّا سَنُنَجِّيكَ وَأَهْلَكَ مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ بِقَوْمِكَ إِلَّا أَمْرًا؛
فَهِيَ مِنَ الْبَاقِينَ مَعَهُمْ فِي الْعَذَابِ.

قال الملائكة للوط: إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ عَذَابًا،
وَهُوَ حِجَارَةٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ؛ لَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ،
وَفِعَلِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ.

وَلَقَدْ أَبْقَيْنَا مِنْ قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطٍ آثَارًا وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عَنْ
اللَّهِ حُجَجَهُ فَيَنْتَفِعُونَ بِهَا.

وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ شُعَيْبًا، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ،
اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَارْجُوا جَزَاءَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا تَقَوْمُوا بِبَخْسِ
الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ، مَعَ كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ
فَكَذَبَ قَوْمُ شُعَيْبٍ نَبِيَّهُمْ، فَأَهْلَكْتَهُمْ رَجْفَةً الْعَذَابِ، فَأَصْبَحُوا
فِي بِلَادِهِمْ صَرَعى، لَا صَاقِينَ بِالْأَرْضِ.

وَأَهْلَكْنَا عَادًا، وَثَمُودَ، وَقَدْ ظَهَرَ لَكُمْ هَلَاكُهُمْ مِنْ آثَارِ مَسَاكِنِهِمِ الْخَاوِيَةِ مِنْهُمْ، وَقَدْ حَسَّنَ الشَّيْطَانُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْمَعَاصِي، فَصَرَفَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ كَانُوا بَصَرَاءَ، مُتَمَكِّنِينَ مِنَ النَّظَرِ وَالْفِكْرِ، وَقَدْ عَرَفُوا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ فَلَا غُذَرَ لَهُمْ.

وَأَهْلَكْنَا قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَةِ، فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْحَقِّ، وَمَا كَانُوا فَائِتِينَ اللَّهَ، وَلَا مُفْلِتِينَ مِنْ عَذَابِهِ.

فَأَهْلَكْنَا عَادًا وَثَمُودَ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ؛ كُلًّا بِسَبَبِ ذَنْبِهِ، وَعَلَى قَدَرِهِ، وَبِعُقُوبَةٍ ثَنَاسِبُهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ رِيحًا شَدِيدَةً تَرْمِيهِمْ بِالْحَصَى حَتَّى هَلَكُوا، وَهُمْ عَادٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالصَّيْحَةِ الشَّدِيدَةِ، وَهُمْ ثَمُودُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلَكَهُ اللَّهُ بِأَنْ غَشِيَهِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ قَارُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلَكَهُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ، وَهُمَا فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ، وَمَا يَنْبَغِي لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُهْلِكَهُمْ ظُلْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ مِنْهُمْ، أَوْ بِذُنُوبٍ غَيْرِهِمْ، أَوْ مِنْ غَيْرِ إِنْذَارِهِمْ وَإِمهَالِهِمْ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ؛ إِذْ تَسَبَّبُوا فِي عَذَابِهَا بِوُقُوعِهِمْ فِي أَسْبَابِهِ.

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ مَعْبُودَاتٍ وَغَيْرِهَا، فَيَطْلُبُونَ نَفْعَهَا، وَيَرْجُونَ نَصْرَهَا؛ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ لِنَفْسِهَا بَيْتًا، لَا يَدْفَعُ عَنْهَا حَرًّا وَلَا بَرْدًا، وَلَا مَطَرًا وَلَا ضَرًّا، وَكَذَلِكَ مَا اتَّخَذُوهُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَإِنْ أَضْعَفَ الْبُيُوتِ هُوَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ؛ لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، لَكِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ، فَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَهُمْ وَيُقَرِّبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ أَيِّ مَعْبُودٍ كَانَ، وَيَعْلَمُ بطلان ذلك وانعدام فائدته، والله غالب لا يمتنع عليه شيء أرادَه، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرُهُ، وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

وتلك الأمثال المذكورة في القرآن نجعلها للناس؛ لنبيّن لهم المعاني، ونُقَرِّبَها إلى أفهامهم؛ لِيَنْتَفِعُوا بِهَا، وما يَفْهَمُ أمثال القرآن إِلَّا ذَوُو الْعِلْمِ.

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، لَا لَعِبًا وَعِبْنًا، بَلْ خَلَقَهُمَا لِأَمْرِ كَائِنٍ، وَلِيَكُونَ دَلَالَةً عَلَى الْحَقِّ، وَلِيَقُومَ أَمْرُهُ وَشَرْعُهُ، وَتَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِنَّ فِي خَلْقِ اللَّهِ لَهَا لَعَلَمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْحَقِّ.

اقْرَأْ -يَا مُحَمَّدُ- مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَاتَّبِعْهُ، وَأَبْلِغْهُ لِلنَّاسِ، وَأَدِّ الصَّلَوَاتِ كَمَا يَنْبَغِي، فَهِيَ تَدْعُو صَاحِبَهَا إِلَى اجْتِنَابِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَمَا فِي الصَّلَاةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ كَوْنِهَا نَاهِيَةً عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.